الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر

سميح القاسم –أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات:

- ✓ إيمان خياري
- ✓ منى خياري
- ✓ هدى دريد

إشراف الأستاذة:د كلثوم زنينة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
العيد حنكه	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	رئيسا
كلثوم زنينة	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
فوزيه تقار	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية:1444–1445 هـ/ 2023–2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النّهار، هو العلي القهار، الأول والآخر و الظاهر والباطن، الذي أغرقنا بنعمته التي لا تحصى، وأغدق علينا رزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد والشكر والثناء العظيم، هو الذي أنعم علينا إذا أرسل فينا عبده ورسوله "محمدا بن عبد الله" عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم، بقرآنه المبين، فعلمنا ما لم نعلم، وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كلّه والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول إلى كل معلّم أفادنا بعلمه، من أولى المراحل الدّراسية حتى هذه اللحظة.

كما نرفع كلمة شكر إلى الدكتورة المشرفة " **كلثوم زنينة**" التي أرشدتنا على إنجاز بحثنا.

كما نشكر كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد ونشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عزّوجل أن يرزقنا السّداد والتوفيق.

إيمان خياري
منى خياري
هدى دريد

مقدمة

مقدمة:

لقد اتخذ الشاعر المعاصر من ثنائية الموت والحياة منطلقا للتعبير عن مآسي الحياة وتعد ثنائية الموت والحياة من أهم الموضوعات التي شغلت تفكير الإنسان منذ القدم، كما تعتبر من أبرز التيمات التي شغلت إبداع الشعراء عبر العصور وذلك لما تحمله من دلالات فلسفية عميقة تمس جوهر الوجود الإنساني ،وككل الشعراء المعاصرين نلحظ ذلك عند الشاعر الفلسطيني سميح القاسم نظرا لتجربته الشخصية كشاعر مقاوم عاش ويلات الحرب والاحتلال، لهذا يعد سميح القاسم من أهم شعراء المقاومة العربية وله مكانة مرموقة في الشعر العربي المعاصر، تميز شعره بعمق المعنى وقوة التعبير، مما جعله لسان حال الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الكيان الصهيوني، فكان الموت والحياة حاضران بقوة في شعره.

تعددت موضوعات شعر سميح القاسم ولعل أهمها قضية الموت والحياة التي تناولها بكثرة في أعماله الشعرية، حيث تضمن شعره رؤية جديدة تجسد نظرته لثنائية الوجود الإنساني بمعنى عام والمصير الفلسطيني بمعنى خاص.

ورغبة منا دخول عالم سميح القاسم وفهم رؤيته لثنائية الموت والحياة والكشف عنها، والتعرف على الأفكار والمشاعر التي يعبر عنها، والسعي لاكتشاف التناقضات بين الموت والحياة، ومدى تأثير أعماله الشعرية على المجتمع والأجيال الجديدة، إضافة إلى مواكبة الأحداث الراهنة وما تعيشه فلسطين.

جاء موضوعنا على عنوان المذكرة الموسوم " ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر سميح القاسم أنموذجا "

وللبدء والخوض في هذا البحث انطلقنا من الإشكالية العامة، كيف تناول سميح القاسم ثنائية الموت والحياة في شعره؟ وما هي الدلالات التي إنطوت عليها هاته الثنائية؟

وللإجابة على هاته الإشكالية ارتأينا أن نتبع خطة متكونة من مقدمة يليها فصلين، تناولنا في الفصل النظري ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر، عرضنا فيه مقابلات بين الموت والحياة فكانت الموت والحياة كتجديد، والموت والحياة كتعبير عن الحرية ، والموت والحياة كألم وأمل .

وتطرقنا في الفصل التطبيقي إلى جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم، حيث قمنا بتحليل بعض القصائد وإبراز تجليات الموت والحياة فيها.

وللسير في هذه الخطة اتبعنا المنهج التحليلي لفهم وتحليل النصوص الشعرية التي تتناول الموت والحياة، والمنهج الوصفي لوصف هذه الظاهرة و السيميائي لكشف الدلالات والمعاني التي انطوت عليها ثنائية الموت والحياة في شعر سميح القاسم.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر من أبرزها ديوان سميح القاسم وبعض من أعماله الكاملة، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر لعبد الناصر هلال، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل.

وفي مسيرة بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل، فهذا حال طالب العلم فالوصول ليس سهلا، ولابد من مواجهة العثرات وتحدي الصعوبات، والصبر على العقبات، ومن هاته الصعوبات، اتساع الموضوع وتشعبه مما صعب علينا الحصر، وكثرة المراجع واختلاف وجهات النظر في التطرق لهذا الموضوع.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل الذي ألهمنا الصبر والإرادة لإتمام هذا البحث المتواضع، كما نتقدم بجزيل الشكر والامتنان مع عبارات التقدير والاحترام للأستاذة المشرفة " كلثوم زنينة " على رحابة الصدر ونصائحها وتوجيهاتها طيلة مسيرة العمل التي أسهمت في إخراج هذه الدراسة لهاته الصورة، كما نعتذر على أي تقصير نتيجة لأي سبب من الأسباب.

والله من وراء القصد

الفصل الأول

ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر

تمهيد

أولا/ الموت والحياة كتجديد

ثانيا/ الموت والحياة كتعبير عن الحرية

ثالثا/ الموت والحياة كألم وأمل

تمهيد :

الموت والحياة من القضايا التي اهتم بها شعرنا العربي المعاصر، فهذه القضية اختلفت باختلاف الحياة وتقلباتها فكانت الصورة المعبرة عن حياة الشاعر ورؤيته الكونية، فبالرغم من حياة الترف والرفاهية كان هناك أيضا صراعات وتناقضات قائمة بين الفرح والحزن واليأس والعجز والتماسك والمقاومة والهزيمة والانتصار فمنها ما يحيل إلى الموت ومنها ما يحيل إلى الحياة ومن هنا تجسدت ثنائية الإنسان الكبرى " الموت والحياة " التي احتلت مكانة واسعة من قضايا الشعر العربي التي كتب فيها الشعراء بلغة فنية جمالية امتزجت بين الحقيقة والرمزية، ولذا ارتأينا البحث في هذا الموضوع ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر ودراسة دلالاتها وخلفياتها، وهذا لما شغلته من اهتمام الإنسان عامة ومجمع الشعراء خاصة.

لقد حظيت هذه القضية باهتمام كبير من طرف الشعراء المعاصرين نتيجة انشغالهم بقضية المصير الإنساني " حيث تعددت أدوات البطش وتفاقمت حدتها وأصبح الشاعر محاطا بالموت في كل معطيات الحياة "[1] بحيث تعد في مقدمة القضايا التي اهتم بها الإنسان منذ أقدم العصور فهي من أبرز الثنائيات التي شغلت الفكر الإنساني الباحث عن الخلود والأبدية.

ولهذا اهتم الشعراء المعاصرون بقضية الموت والحياة، ومن بين الشعراء المعاصرين الذين ركزوا على هذه القضية الشاعر أمل دنقل وبدر شاكر السياب وتميم البرغوثي و نزار قباني ومحمود درويش، فهؤلاء يأتي الموت محتشدا في قصائدهم محتكا بالأشياء يسطو عليها منصبا تأثيره على معطيات الواقع المعيش، مشيرا إلى الهزيمة والانكسار، فالموت يعلن انتصاره في السطو والقهر والذات تقع فريسة له مؤكدة ضياعها وشعورها بالوحدة.

ولقد عبر الشاعر تميم البرغوثي عن الموت والحياة في قصيدة له بعنوان (الموت فينا وفيهم الفزع) التي يهديها إلى المقاومة في غزة فإنه ينتقد بشدة المحتلين الإسرائيليين الذين

[1] عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2005م، ص11.

يمُعنون في القتل والدمار في فلسطين فيصور لنا صورة الموت في بلده وعقدة الخوف التي يعيشها الجيش الصهيوني فيقول:

"قل للعدى بعد كل معركة جنودكم بالسلاح ما صنعوا

لقد عرفنا الغزاة قبلكمو ونشهد الله فيكم البدع

ستون عاما وما بكم خجل الموت فينا وفيكم الفزع

أخزاكم الله في الغزاة فما رأى الورى مثلكم ولاسمعوا

حين الشعوب انتقت أعاديها لم نشهد القرعة التي اقترعوا"[1]

كما نجد تجربة سميح القاسم التي تقوم الدراسة على قصائده ليست تجربة عادية يأتي فيها الشاعر الموت كغيره من الشعراء فقد حفل شعره بالموت، وكانت نقطة تحول في تجربته الذاتية معه، رصدت تأثير الشاعر بالمراحل التي عاشها وما يتخللها من أحداث مأساوية

"ولم يكن الشعر بمنأى عن الخوض في هذه الثنائية منذ عصوره الأولى، بل كانت هذه الثنائية أساس بنائه، الأمر الذي جعله نموذجا للجانبين معا فكلاهما وسيلة للآخر، إذ تعبر مفردتا الحياة والموت عن معنى مشترك أو أنهما نمطان لحالة واحدة بمعنى أن كل لا يكتمل معناها إلا بذكر الثانية فكل منهما بحاجة لأخرى، فلا إمكانية للنفوذ إلى الموت إلا بالمرور بالحياة "[2]

وخلاصة القول إن ثنائية الموت والحياة من القضايا الشعرية التي شغلت اهتمام العديد من الشعراء المعاصرين فهي قضية ذات الصلة بالوجود وسر الموت وطبيعة المستقبل المجهول الذي ينتظر الإنسان، فقد حاول الشعراء من خلال هذه التجربة الشعرية على التعبير على أفكارهم ومشاعرهم ورؤاهم الذاتية والبحث عن وسيلة للهرب من الموت وتحقيق البقاء والديمومة.

[1] تميم البرغوثي " ديوان القدس " دار الشروق، (د ط)، (د ت)، ص46.

[2] علية طلاق الهاجري، ثنائية الموت والحياة، ديوان فهد العسكر، (...– 1951)، مجلة كلية دار العلوم، العدد145، مايو 2023، ص319.

أولا/الموت والحياة كتجديد

يُظهر الشعراء المعاصرين كيف يمكن للموت أن يُعتبر بمثابة بداية جديدة،حيث الموت لا يمثل النهاية فحسب، بل يعتبر أيضا محفزا للتجديد والتحول والانبعاث.

يرمز الموت في الشعر العربي المعاصر في العديد من المواقف إلى بداية جديدة أو تحول فنظر بعض الشعراء المعاصرين للموت على أنه مرحلة انتقالية من الحياة إلى حاله أخرى من الوجود واعتبروه صورة من صور الحياة ويعد الشاعر محمود درويش من الشعراء المعاصرين الذين تجلت صورة الحياة عندهم في الموت حيث اعتبر درويش الموت صورة عالية من صور الحياة فالموت عنده تلك القوة التي تدفع إلى الحياة والانبعاث من جديد يقول في قصيدة (الرجل ذو الظل الأخضر)

"نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول أن لا نموت معكِ

ففوق ضريحك ينبت قمح جديد

وينزل ماء جديد

نسير••• نسير ••• نسير"[1]

كتب محمود درويش هذه القصيدة في ذكرى وفاة الزعيم المصري جمال عبد الناصر، فقد بين لنا درويش أن الحياة تحولت إلى حياة جديدة بموت جمال عبد الناصر، ورمز لذلك بضريحه حيث نبتت حبات القمح وسقطت المطر من السماء لتُحيي الأرض من جديد، لم

[1] محمود درويش، الديوان الأعمال الأولى 1 , رياض الريس للكتب والنشر , ط 1 , 2005م ، ص 377.

تتوقف الحياة بوفاة الزعيم بل بالعكس بدأت حياة جديدة، فقد أكد لنا درويش على أن الموت دافع لحياة جديدة.

فالموت عند درويش " يقظة وابتداء لبعث جديد يتسم بالصلابة فهو يدخله ويتفاعل معه بوصفه تشكيلا لذات ترفض الاستسلام والخنوع والاعتراف بالهزيمة والرضا بالتشظى والانكسار، بل إن الموت تطهير وخلاص يعتمد على مواجهة لا الانسحاب على الرغم من الانهيار الذي يلاحق كل شيء في عالم الشاعر"[1]

كما اهتم الكثير من الشعراء المعاصرين بقضية الموت واعتبروه الخلاص والمهرب من حياة البؤس والحرمان إلى حياة جديدة، ومن هؤلاء بدر شاكر السياب فالأمر الذي أدى به للاهتمام بهذه القضية، ذلك لأنه تعرض للمرض وعاش الفقر والجوع، فكل هذا جعل الشاعر يتطلع إلى الموت على أنه المخلص من هذه الحياة البائسة، فنرى ذلك من خلال قصائده.

يقول السياب في قصيدة (ثعلب الموت):

" كم يمض الفؤاد أن يصبح صيدا لرمية الصياد؟

مثل أي الظّباء، أي العصافير، ضعيفا

قابعا في ارتعادة الخوف، يختضُّ ارتياعا، لأن ظلا مخيفا

يرتمي ثم يرتمي اتّئادِ

ثعلب الموت، فارس الموت، عزرائيل يدنو ويشحذ

النّصل، آه

منه آه، يصكُّ أسنانه الجوعي ويرنو مهددا، يا إلهي

ليت أن الحياة كانت فناء

قبل هذا الفناء، هذي النهاية،

[1] عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص36.

ليت هذا الختام كان ابتداء "[1]

يصور السياب اقتراب الموت وتهديده كما يتمنى لو كانت الحياة فناء أو كانت النهاية هي البداية، فالسياب يعيش الحياة فاقدا للأمل.

ثانيا/الموت والحياة كتعبير عن الحرية

يتناول الشعراء أحيانا الموت كطريقة للتحرر، في المقابل تعبر الحياة عن حرية الروح والقدرة على الاختيار وتحقيق الذات.

يرى الشعراء المعاصرين أن الموت في سبيل الوطن هي عبارة عن اشراقة شمس الحرية، فهو لا يعتبر نهاية بل خلق جديد، وتجسدت الرؤية الشعرية في هذا الموضوع من خلال تخليد الحياة النضالية للشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل وطنهم،وتمجيد قيم الحرية والكرامة ومن هؤلاء الشعراء الذين عبروا عن الموت على أنه كرامة للنفس وتثمين للحرية أمل دنقل حيث يقول في قصيدة له:

مُعَلَّقٌ أنا على مشانقِ الصَّباحْ

وجبهتي بالموتِ محنية

لأنني لم أخنها.. حَيَّهْ!

يا إخوتي الذينَ يعبُرون في المِيدان مُطرِقينْ

مُنحدرين في نهايةِ المساءْ

في شارِع الإسكندرِ الأكبرْ

لا تخجلوا.. ولترْفعوا عيونَكم إليّ

لأنكم مُعلَّقونَ جانبي.. على مشانِق القيصَرْ.

لربما.. إذا التقتْ عيونُكم بالموتِ في عَينَيّ:

[1] بدر شاكر السيّاب، ديوان بدر شاكر السيّاب، مج2، دار العودة، بيروت،(د ط) ،2016 م ، ص100

يبتسمُ الفناءُ داخلي.. لأنكمْ رفعتم رأسَكمْ.. مره!"[1]

حيث تطلع أمل دنقل من خلال هذا المقطع الشعري للموت على أنه المخلص الوحيد من حياة الهزيمة والانكسار الذي يعيشه المجتمع، فالموت في نظر دنقل في هذه الحالة أعلى شأنا من الحياة، ويضفي عليها معنى أسمى،فالحياة بحرية أو موت بشرف حيث يرى دنقل أن الهزيمة والانكسار أشد ألما ووطأة وأكثر فضاعة من الموت.

يقول دنقل كذلك في قصيدة زهور:

"وسلال من الورود

المحها بين إغفاءة و إفاقة

وعلى كل باقة

اسم حاملها في بطاقة

"تَتَحدثُ لي الزَهراتُ الجميلة

أن أَعيُنَها اتَّسَعَتْ دهشةً

لحظةَ القَطْف

لحظةَ القَصْف

لحظة إعدامها في الخميلةْ!

تَتَحدثُ لي.."[2]

في هذه الأبيات يصف أمل دنقل حالة الزهور حين تزهر في بساتينها بين أخواتها فتظل شامخة يفوح عطرها وفي حالة القطف لتحمل اسم الجاني عليها في بطاقة، وهنا يصور الشاعر حالتي النصر والهزيمة.

[1] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، القاهرة، مكتبة مريولي، القاهرة، 1987م، ط3(د ت) ص 110 111.

[2] المرجع نفسه، ص 370.

ومن الشعراء المعاصرين الذين تناولوا هذا الموضوع الشاعر الفلسطيني " محمود درويش " فهو أحد أهم وأبرز الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذي ارتبط اسمهم بشعر الثورة والدفاع عن الوطن والمطالبة بالحرية والاستقلال يقول في قصيدة له بعنوان (بطاقة هوية)

" سجل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا... ولكل أحفادي

سوى هذي الصخور

فهل ستأخذها

حكومتهم... كما قيلا

إذن!

سجل... برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذار... حذار... من جوعي

ومن غضبي! "[1]

فقد تميز شعر درويش بالثورية والحماسية، بحيث تجسد في قصيدته هذه الإحساس الوطني والمشاعر القومية والانتماء، وتبعث في شعبه مشاعر الثورة والغضب ضد الاحتلال الصهيوني والسعي للحرية والاستقلال.

" وجدت ثورية الشعر سندها القوي في هذه الثورات فلم تعد ثوريته قاصرة على إطاره الخارجي كما كان الأمر في البداية وإنما صارت في مضمونه كذلك "[2]

ثالثا: الموت والحياة كألم وأمل

غالبا ما يتم تصوير الموت والحياة ضمن إطار الصراع بين اليأس والأمل، حيث تتعايش معاناة الفقد والحزن مع البحث عن الفرح ومعنى الحياة.

لقد شاع اليأس والحزن في النص الشعري العربي المعاصر وذلك بشعور الشاعر المعاصر بالأسى والحزن والاغتراب من الواقع المعيش لينقلب ذلك الحزن والأسى في أشعاره، فنلاحظ أن الجانب المأساوي للحياة الذي رسموه لنا بعض شعرائنا المعاصرين متعدد ويرجع ذلك إلى دواعي الأسى والحزن وطبيعة الإنسان ذاته وهموم واقعه الذي يعيشه كما يقول الشاعر بدر شاكر السياب في قصيدة له بعنوان (الرابية) التي عكست رؤيته للحياة:

"وحيدا هناك على الرّابية جلست أبث الدجى ما بيه

أعدد أيامي الذاهبات فأبكي لأيامي الباقية!

وجددت الحزن لي دمعة محيرة بين أهدابيه

عرفت بها قصتي في الحياة و تضليل روحي وآمالية"[3]

فمن خلال هذا المقطع الشعري نلاحظ بأن صورة الحياة بالنسبة للشاعر تتمثل في صورة مأساوية قائمة على دخول اليأس و الحزن في روحه فقام بتظليلها و فقدانها للأمل

[1] محمود درويش، الديوان الأعمال الأولى 1،ص84/83.

[2] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي، ط3، ص397.

[3] بدر شاكر السياب،ديوان بدر شاكر السياب، مج2، ، ص95.

فذلك كله نتيجة "للحالة الشعورية للشاعر عند مرحله معينه فمرة يرى الجانب السار للحياة ومره أخرى يرى الجانب المحزن المأساوي ولكن هذه خصيصة للرواية تقف بالتجربة الشعورية عند حد بذاته من المعاينة تقدره المشاعر الخاصة".[1]

كذلك من الشعراء المعاصرون الذين صور لنا الحياة بصورتها المأساوية الشاعر صلاح عبد الصبور وذلك يظهر من خلال تجربته الشعرية إذا وقفنا عند قصيدة من قصائده بعنوان (الحزن) فيقول فيها :

"وأتى المساء

في غرفتي دلف المساء

و الحزن يولد في المساء لأنه حزن ضرير

حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم

حزن صموت..

والصمت لا يعني الرضا بأن أمنية تموت

بأن أياما تفوت

وبأن مرفقنا وهن

وبأن ريحا من عفن

مس الحياة فأصبحت، وجميع ما فيها مقيت"[2]

نلاحظ من خلال هذه الأسطر الشعرية سيطرة الحزن والأسى في شعر صلاح عبد الصبور فكانت هذه المشاعر التي يحس به الشاعر كمظهر تعبيري يعكس شعوره بالوحدة والغربة وإحساسه بالضياع نتيجة فقدانه الأمل في تحقيق حلم وجوده الحياتي

[1] عز الدين إسماعيل،الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)،ص303.

[2] صلاح الدين عبد الصبور، ديوان صلاح الدين عبد الصبور، مج3، دار العودة، بيروت، (د ط)، 1988م، ص172.

ومن صور المعاناة تمثلت عند بعض الشعراء في فقد الأهل والأحبة وهنا نرى نزار قباني يرثي أسرته ويجسد مشهد الألم والحسرة والحزن على موتهم، كما يرى أن الموت مصير حتمي وحقيقة صادقة في وقوعها، لكنها مرفوضة عاطفيا وكاذبة أمام الحس الشاعري فهي حقيقة تعلو كل الحقائق، لذا تنوعت صور الموت في قصائده فامتزجت بين العاطفة والواقعية، يحكي نزار قباني موت أبيه وأمه وابنه وزوجته.

يقول نزار قباني في موت أبيه:

في قصيدة يتحدث نزار عن موت أبيه يقول:

"أمات أبوك.....؟

ظلال أنا لا يموت أبي"[1]

يكذب نزار الخبر ويضلل الفكرة الموضوعية، فكرة موت أبيه و يسمع لذاته وعاطفته، كما اعتبر أن موت أبيه إهانة لشخصه فكانت ردة فعله هجومية على حقيقة الموت، ثم يأخذ يعدد أشياؤه وأماكنه كأنه موجود، ولكنه وهو يرصد هاته الأشياء يعترف بالحقيقة التي أنكرها في البداية من حقيقة موت أبيه بقوله:

"هنا ركنه.... تلك أشياؤه.

أماتَ أَبوك؟! ضَلالٌ!... أنا لا يموتُ أبي....

ففي البيت منه روائحُ ربٍّ وذكرى نَبي..

هُنَا رُكْنُهُ... تلكَ أشياؤهُ

تَفَتَّقُ عن ألف غُصْنٍ صبي. ..

جريدته....تبغه مُتَّكَاهُ...

كأنَّ أبي بَعْدُ لم يَذْهَب"[1]

[1] نزار قباني،قصائد، ديوان شعري، ط 25، 1981، ص53.

كما رأينا صور المعاناة في الحزن واليأس والفقد هناك أيضا الغربة فقد جسد الشعراء المعاصرون الغربة في قصائدهم بصور متنوعة ومختلفة كل حسب تجربته فمنهم من عانى غربة الذات وشعورهم بالانفصال عن ذواتهم، وذلك بسبب فقدان القيم والمعتقدات الراسخة نتيجة التغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية، لكن أهمها الغربة عن الوطن التي تمثلت في مغادرة العديد من الشعراء لأوطانهم بسبب الحروب والصراعات والأنظمة الديكتاتورية السائدة، مما أدى إلى شعورهم بالغربة والضياع والفقدان والوحدة لابتعادهم عنه فظل الحنين و التوق إلى أرض الديار يلهب قريحتهم الإبداعية ويحفز خيالهم، حيث يجد الشاعر شعوره بالغربة والضياع مصدرا غنيا بالصور الشعرية.

ومن هؤلاء الشعراء يقول محمود درويش في قصيدة (من أنا...بعد ليل الغريبة ؟):

"من أنا... بعد ليل الغريبة ؟ أنهض من حلمي

خائفا من غموض النهار على مرمر الدار، من

عتمة الشمس في الورد، من ماء نافورتي

خائفا من حليب على شفة التين، من لغتي

خائفا، من هواء يمشط صفصافة خائفا، خائفا

من وضوح الزمان الكثيف، ومن حاضر لم يعد

حاضرا، خائفا من مروري على عالم لم يعد

عالمي. أيها اليأس كن رحمة. أيها الموت كن

نعمة للغريب الذي يبصر الغيب اوضح من

واقع لم يعد واقعا "[2]

[1] نزار قباني، قصائد كل عام وأنت حبيبتي، ديوان شعري، (د ط)(د ت)، ص 43..

[2] محمود درويش، الديوان الأعمال الأولى 3، رياض الريس للكتب والنشر، ط 1، 2005م، ص 283.

رغم المعاناة التي تجسدت في الحزن واليأس والألم والغربة التي يعيشها الشعراء إلا أن هناك من يرى الحياة أمل وتفاؤل، يرى الجانب المضئ منها، ولهذا وظف الشعراء الطبيعة في قصائدهم فهي تعتبر المستقر والمأوى الذي يلجأ إليه في حالة يأسه من الحياة فتبعث فيه روحا جديدة ونظرة تفاؤل ويظهر ذلك من خلال عمله الإبداعي فقد أصبحت الطبيعة بالنسبة للشعراء المعاصرين مصدر من مصادر الإلهام، فالشاعر المعاصر ليس موضع اهتمامه رصد ووصف مظاهر الطبيعة بقدر اهتمامه بالتأمل فيرى فيها نفسه مما يؤدي إلى شعوره بأنه ولد من جديد.

فالشاعر بدر الشاكر السياب من الشعراء المعاصرين البارزين الذين وظفوا رمز الماء في قصائدهم من حيث كونه مطرا عنصر من عناصر الطبيعة فيقول في قصيدته (أنشودة المطر):

"أكاد أسمع العراق يذخر بالرعودْ

ويخزن البروق في السهول والجبالْ

حتى إذا ما فض عنها ختمها الرَّجالْ

لم تترك الرياح من ثمود

في الوادِ من أثرْ

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر

وأسمع القرى تئن، والمهاجرين

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع

عواصف الخليج، والرعود، منشدين

مطر...

مطر...

مطر...

وفي العراق جوعٌ ينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول حولها بشر

مطر...

مطر...

مطر..."[1]

هذا المقطع يصور لنا الحزن والألم الذي يشعر به الشاعر اتجاه وطنه العراق وما يعانيه شعبه من ظلم واستبداد فوظف الشاعر كلمه مطر التي ترمز للثورة والتمرد والأمل بحياة وغد جديد مشرقا فتكرار الشاعر لكلمة مطر، دلالة على الحياة والخير والخصب، فالشاعر يحاول أن يبث الحياة من جديد في العراق الذي أصابها الدمار والخراب والجوع جراء ما تعرضت له من طرف المحتل.

وخلاصه القول فالشاعر العربي المعاصر يلجأ إلى الطبيعة، فيرى أنها بإمكانها أن تمنحه شيئا من الهدوء والاستقرار وتبعث في روحه الأمل والتفاؤل بغد جديد وإن كان يعاني من واقعه السيئ المعيش فيبحث في أعماقها ليخلق حياة جديدة.

[1] بدر شاكر السياب، ديوان بدر شاكر السياب، مج1، دار العودة، بيروت، (د ط)، 2016 م، ص68/ 69.

الفصل الثانـي

جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم

أوّلا/ تجليات الموت في شعر سميح القاسم

ثانيا/ تجليات الحياة في شعر سميح القاسم

ثالثا/جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم

أوّلا/ تجليات الموت في شعر سميح القاسم:

الموت حاضر بقوة في شعر سميح القاسم فهو يعتبر موضوعا مركزيا في إبداعاته حيث خصص له العديد من الأعمال الشعرية فبالرغم من أن الموت هاجس وجوديا يواجه جميع البشر إلا أنه في النهاية حتمية لا مفر منها، تناول سميح القاسم الموت برؤى مختلفة، فمرة يراها الصديق الذي يخلص من آلام الحياة و صراعاتها، ومرة يراها العدو الفتاك الذي يهدد الإنسان وبسبب الخوف والألم، صور سميح القاسم الموت من خلال تجربة شعرية قوية تعكس مشاعره وأفكاره حول هذا الموضوع الذي يعتبره حقيقة حتمية واقعية إلا انه يؤكد على أهمية عيش الحياة على أكمل وجه قبل مجيء الموت، وقد تمثلت صور الموت عند سميح القاسم في عدة صور منها:

1. الموت القومي:

سميح القاسم شاعر فلسطيني، وفلسطين أكثر دولة عرفت الموت، فالشاعر عانى القهر والظلم مثله مثل الشعب الفلسطيني كافة، فكان اللسان الناطق معبرا عن معاناة شعبه، فقد مارس الكيان الصهيوني منذ احتلاله للأراضي الفلسطينية، أفضع أنواع القمع من قتل وتشريد وارتكاب أبشع الجرائم والمجازر، وذلك لهروب الشعب الفلسطيني من أرضه والتشجيع على الهجرة، فالأرض كانت هي الغاية والهدف الرئيسي لكل هذه الصراعات، لكن الشعب الفلسطيني لم يخضع لهذا الظلم وظل يقاوم فيبرز الموت للتعبير عن التضحية والدفاع من اجل الوطن والحفاظ عن القومية الوطنية.

عبر الشاعر سميح القاسم عن هذه المجازر التي أسفرت عن آلاف الموتى والقتلى بشعور ممتزجا بكل ألوان الحزن، والأسى، فيقول في مجزرة كفر قاسم في قصيدة (ليد ظلت تقاوم):

"يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى

ما بكيت

قلت فوج آخر يمضي

.....

يوم قالوا .. ما بكيت

ومضت بضعة أيام على عيد الضحايا

واتيت

وتلقاني بنوك البسطاء

وتلونا الفاتحة

وعلى أعين أطفالك

يا أم العيون الجارحة

ييبس النهر وماتت في أغاني الحمائم

وأنا يا كفر قاسم

أنا لا انشد للموت....ولكن

ليد ظلت تقاوم"[1]

جسد الشاعر مشهد الموت حيث نقل لنا صورة تساقط القتلى و الموتى فوج تلو الآخر حتى انه لم يبكيه هذا المشهد لأنه أصبح بالنسبة له معتاد وليس بالغريب والمفاجئ، فالموت قد خيم على هذه القرية قرية كفر قاسم، كما يصف الشاعر هذه المجزرة بيوم العيد عيد الذي سقطت فيه آلاف الأرواح من الأبرياء ،إلا أن الشاعر لم ينشد للموت بل يتغنى باستماتة وقوة الشعب الفلسطيني من اجل الدفاع عن كرامته.

يكمل الشاعر القصيدة فيقول:

"وأنا ريشة نسر

[1] سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة، لبنان، (د ط)، 1987م، ص 460 /462.

في مهب الحزن والغيظ

إله لا يساوم

.....

وتشدو في أغاني الحمائم

أملا الدنيا هتافا لا يساوم

كفر قاسم...كفر قاسم....كفر قاسم

دمك المهدور مازال

ومازلنا نقاوم"[1]

فبعد تصوير الشاعر لمشهد الموت والجريمة الشنيعة ورغم هذا العذاب فإنه على أرضه لا مجال للمساومة مهما حدث، وهنا يعبر عن موقفه اتجاه وطنه وأرضه فهو يفضل الموت عن التنازل على شبر من تراب فلسطين فالموت هنا تعبير عن التضحية من اجل الوطن.

ويقول سميح القاسم في قصيدة (وطن)

"وماذا ؟

حين ، في وطني

يموت بجوعه الدوري

منفيا، بلا كفن

و تتخم من طعام الله

تتخم دودة الدّمن

[1] سميح القاسم، المصدر السابق، ص 463.

وماذا ؟

والحقول الصفر

لا تعطي لصاحبها

سوى ذكرى متاعبها

ويدفق خيرها الموفور

في أهراء غاصبها

وماذا ؟

والينابيع القديمة

ردها الاسمنت

وأنساها مجاريها

فان نادى مناديها

تصيح بوجهه : من أنت ؟"[1]

يشير سميح القاسم في هذا المقطع إلى الكيان الصهيوني وما فعله بوطنه حيث مات شعبه جوعا، ونفي من أرضه قصرا، كما عبث فسادا في حقولها التي شهدت متاعب أصحابها في خدمتها ويأخذ خيرها غصبا، وينابيعها التي سدت بحطام البيوت المهدمة فنسيت مجاريها، رسم الشاعر فلسطين المخربة في صورة حزينة حتى أنها لم تعرف أصحابها .

يقول سميح القاسم في قصيدة (القديسات الخمس):

"ليلة مرت

[1] سميح القاسم، المصدر السابق ، ص 523.

وأخرى ، بعدها مرت

وأخرى ..

و أفقنا ذات فجر

ايقضتنا خضة الشارع ، والناس

وضوضاء الرياح

ايقضتنا شاحنات الجند رتلا اثر رتل

وهدير القاذفات

رائحات غاديات

وعلى الريق، عوت صفارة الإنذار

في رعب وذل

فكفرنا

وجرعنا كأسنا المر، فخدرنا الجراح "[1]

في هذا المقطع يصف الشاعر ليالي الشعب الفلسطيني المرعبة الذي يستقظ فجرا على صوت الشاحنات المحملة بالجند الإسرائيلي والقذائف الآتية من كل صوب وصفارات الإنذار المدوية في الأرجاء لتبعث الرعب والخوف في نفوسهم .

يقول الشاعر في قصيدة (ليلى العدنية):

"عانقت ليلى أباها

ثم هبت واقفة

نزعت من راحتيه البندقية

[1] سميح القاسم، الديوان ، ص 232.

وبصوت العاصفة

وبأصوات الملايين الغضاب الزاحفة

صرخت: لن تدفنوه

قسما.. لن تدفنوه

قسما، مالم نطهّر كل شطآن العروبة

من ذئاب الغزو

مصاصي صحارينا الحبيبة "[1]

يصف الشاعر مشهد التضحية بالنفس من اجل تطهير فلسطين من المحتل الغاصب الذي شبهه سميح القاسم بذئاب الغزو ومصاص الأراضي.

يقول في قصيدة (التعاويذ المضادة للطائرات):

"نحن في عز الظهيرة

نصف قرص الشمس يبكي في الزقاق

والدجاجات يولولن ، على وقع البساطير الكبيرة

وأبي يحشو رصاصات غبية

في بقايا البندقية

بين إلحاح نداءات الرفاق

.....

اقبل الفاتح يا أبناء رامه

اقبل الفاتح يا ناس

[1] سميح القاسم، الديوان ، ص 163.

فلوذوا بالسلامة

ما الذي تجديكم الأن أناشيد الكرامة

صوبوا كل التعاويذ بوجه الطائرات ."[1]

هنا الشاعر يصور مشهد قصف الطائرات على مدينته رامه، حيث يدعو ابناء رامه إلى المقاومة والدفاع عنها، والوقوف في وجه الطائرات بكل قوة وتحدي .

ويقول سميح القاسم في قصيدة (وقع خطى في دهليز الموت)

"وقع خطى في دهليز الموت

لغط وصراخ

ويلك ....آ آخ

اهرب ...من هذا الباب

ادخل . أسرع في هذا السرداب

ركض وشجار في أقبية الموت

قتلى : سبعون

أسرى : تسعون

أكثر من تسعين جريح

الصمت الصمت

.....

وعلى حين غرة

شهق الليل

[1] سميح القاسم، المصدر السابق، ص 234/ 237.

عندما غاص في صدره الرصاص

.....

ضمت الريح وجهه

وهو ملقى على التراب

نازفا ... نازفا

وفي ساقه مخلب وناب ."[1]

جسد سميح القاسم الموت وهو يلاحق الشعب الفلسطيني في كل ركن وزاوية فهو في ركض وشجار دائم معه، حيث تعلن الأخبار كل يوم عن عدد القتلى والأسرى، كما يصور الجثة المرمية على التراب نازفة نتيجة الرصاص الذي غاص في صدره .

كانت القرى والمدن الفلسطينية إبان الاحتلال تترقب الموت بين كل لحظة وأخرى، بين قصف وآخر، فلا تنعم بالراحة، ولا تتذوق طعم الهدوء والسكينة. حيث كان تكرار مشاهد القتل لدى الشاعر ما هو إلا نتيجة لأفعال الاحتلال الدموية اتجاه الشعب الفلسطيني المستضعف دون أي رادع، في المقابل فالشعب الفلسطيني لم يخضع ولم يرضخ لهاته الجرائم فقدم النفس والنفيس من اجل الدفاع على وطنه، فنرى الموت كإعلان عن البطولة وإيمان الشعب الفلسطيني بقضيته.

2. الموت كنهاية للبراءة:

خصص سميح القاسم حيزا كبيرا من شعره للأطفال، حيث عبر عن معاناتهم تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي، ففي الوقت الذي كان ينبغي لهم أن يعيشوا الطفولة بمراحلها وينعمون بالبراءة، بعيدا عن مشاكل الحياة وهمومها وجدوا أنفسهم ضحايا للظلم والقمع فصغر سنهم وبراءتهم لم تشفع لهم أمام المحتل الغاضب الذي سلبهم حقهم في الحياة ووضع حد للبراءة، وهذا ما لم يقبله سميح القاسم وثار منددا لهاته الأفعال الشنيعة ضد الأطفال.

[1] سميح القاسم، الديوان، ص 424.

يقول الشاعر في قصيدة (الموت يشتهيني فتيا):

"تعبر الريح جبيني

ويميد البيت بالضجة...

آه – أنقذيني

إنني اسقط يا أمي

تعالي ... أنقذيني

إنني أغرق في قاع المحيط

وكلاب البحر من حولي

ومن حولي يدور الإخطبوط

وأنا اعلم أن الموت

يا أمي

فتيا يشتهيني"[1]

يصور الشاعر في هذه القصيدة تربص العدو الإسرائيلي بالطفل الفلسطيني وملاحقته في كل مكان، ويطلب النجدة من أمه لتنقذه لكن لا جدوى من ذلك فهو يعرف انه ميت لا محالة

يقول الشاعر في قصيدة (أطفال رفح):

" للذي يصدم في الميدان دوري الفرح

للذي تقصف طياراته حلم الطفولة

للذي يكسر أقواس قزح

يعلن الليلة أطفال الجذور المستحيلة

[1] سميح القاسم، المصدر السابق ص 205.

يعلن الليلة أطفال رفح

نحن لم ننسج غطاء من جديلة

نحن لم نبصق على وجه قتيلة

بعد أن ننزع أسنان الذهب

فلماذا تأخذ الحلوى

وتعطينا القنابل

ولماذا تحمل اليتم لأطفال العرب"[1]

يجسد الشاعر في هذه الأبيات مجزرة من مجازر العدو الصهيوني راح ضحيتها أطفال رفح حيث يصف قصف طيارات العدو للأطفال الأبرياء وتحرمهم من حلم الطفولة .

يقول سميح القاسم في قصيدة (أطفال 1948):

" كوم من السمك المقدد في الأزقة، في الزوايا

تلهو بما ترك التتار الانكليز من البقايا

أنبوبة .. وحطام طائرة .. وناقلة هشيمة

ومدافع محروقة .. وثياب جندي قديمة

وقنابل مشلولة .. وقنابل صارت شظايا"[2]

يصور سميح القاسم ما خلفته غارات العدو على فلسطين، يصور بقايا الحرب والجثث المترامية في كل مكان و حطام الطائرات من بيوت مهدمة وشظايا القنابل .

يقول الشاعر في قصيدة (أدافع):

[1] سميح القاسم، الديوان،، ص750.

[2] سميح القاسم، المصدر نفسه، ص 47.

"الطائرة الاسرائلية

العائدة إلى قواعدها سالمة

تترك وراءها خطا ابيضا طويلا

.....

القصف برا وجوا وبحرا

بيانات الاحتجاج والإدانة

دمى الأطفال

وجماجمهم المتناثرة

تحت جنازير الدبابة المتقنة"[1]

ويقول في قصيدة (ليالي العشر في الرميلة):

" بين طائرة قصفتنا ، وطائرة سوف تقصفنا

طائرة

بين قنبلة نسفتنا وقنبلة قذفتنا

دمى طفلة

تتناثر أشلاؤها في حفائرنا الغائرة"[2]

سلب الاحتلال الإسرائيلي أطفال فلسطين حقهم في اللعب وحرمهم منه، فاللعب حق من حقوق الطفل لنموه وتطويره بشكل سليم على جميع المستويات، إذا صور لنا الشاعر مشاهد قتل الأطفال إلى جانب ألعابهم ودمائهم المتناثرة على الأرض.

[1] سميح القاسم ، الأعمال الكاملة مج 3، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992، ص12.

[2] سميح القاسم ، المصدر نفسه، ص602

وسط المكان المحفوف بالموت من كل الزوايا، لا يزال الأطفال بالفطرة يخلقون فرصة للعب، باحثين عن مكان خالي من كل مشاهد الرعب بعيد عن القتل والتعذيب، لكن هيهات فسرعان ما يفيقون من حلمهم الممتع إلى العالم المخيف المرعب بصوت قذيفة تجزأ أشلاءهم

يقول الشاعر في قصيدة (موت قبل الولادة):

هكذا !!

يا صديقي الجنين حسمت الحوار

حول ما سيكون اسم هذا الولد الجديد

قيل : بنت تسمى (هزار)

قيل : بل ولد ذكر

وسيدعى(سعيد)

وحسمت الحوار

بعد قنبلة الغاز

ناديت: يا أهلي الطيبين

أنا...هذا الجنين

جئت"هذا الجنين"

جئت باسمي، وجاء

فالرجاء الرجاء

اكتبوه على حجر من بلادي اكتبوه واقذفوه في ظلام السنين

جئت باسم الوليد الجديد

جئت باسم "الشهيد"[1]

صور سميح القاسم في هذا المقطع صورة موت الطفل الفلسطيني قبل حتى أن يولد تربص به الأعداء وهو جنين في بطن أمه، بينما كان أهله يختارون اسمه وإذا ما كان بنت أو ولد جاءت قنبلة وحسمت الحوار.

ويقول في قصيدة (ولد يرفع الأعلام على أعمدة الكهرباء):

"اقصر من عمرك

مسافة الموت

من بنادق الجيش

إلى ظهرك"[2]

يقول الشاعر في قصيدة (الطفل الذي ضحك لأمه المقتولة):

"تعالى يا ولدي

تعالى ارضع

فحف لها على أربع

وغرد ثغره:أماه

وكركر حين لم تسمع

وشد ردائها

وراءه دغدغة وأرجوحة

وردد عاتبا أم.....ا." [3]

[1] سميح القاسم، الأعمال الكاملة مج3 ، ص 530، 531.

[2] سميح القاسم، المصدر نفسه ، ص 531.

[3] سميح القاسم، الديوان، ص203.

في هذه الكلمات صور لنا الشاعر معاناة الطفل الفلسطيني منذ ولادته، إذ يجسد لنا حرمان الطفل من أمه وهذا ما سعى له الاحتلال الإسرائيلي في مجازره، سعى إلى تيتيم الأطفال وتشريدهم.

تعامل العدوان الإسرائيلي بشكل غير منصف مع أطفال فلسطين بعيدا كل البعد عن الإنسانية حيث لاحق الموت الطفل الفلسطيني في كل مكان، المدارس وفي ساحات اللعب و المشافي، حيث أبدى سميح القاسم اهتمامه بقضية موت الأطفال في إشعاره مبرزا تعاطفه معهم منددا لجرائم المحتل الشنيعة، فصورهم بين قتيل وجريح وميتم ومقاوما، فمنهم الطفل البريء الذي كان ضحية الظلم والقمع، فيظهر الطفل العاجز أمام بطش الاحتلال، ومنهم الطفل المناضل الذي حمل الحجارة في وقت مبكر فكان له دور في المقاومة، كما صور الشاعر صورة الطفل كرمز للأمل والمستقبل وكله إيمان بقدرة الجيل الجديد على تحقيق النصر، ويبرز الموت هنا كنهاية لمرحلة الطفولة والقضاء على البراءة.

3- الموت تجسيد للفقد والفراق:

اهتم سميح القاسم في شعره بقضية موت المرأة، فتجلت صورتها في قتل المرأة، أحزان الثكالى وعويل الأرامل، ولكن المرأة الفلسطينية مهما أتعبتها المآسي تضل صامدة، أما كانت أم أخت أو زوجة أو بنتا أو صديقة، وهنا جسد موت المرأة كتعبير عن الفقد والفراق.

ولهذا اختلفت وتنوعت صورة المرأة في شعر سميح القاسم باختلاف أدوارها في الحياة.

يقول سميح القاسم في قصيدة (الأرض من بعدي):

"أرضي التي...بعظام أجدادي

قلبتها...وجبلت أولادي

أرضي التي دللت تربتها

ورعيت طول العمر حنطتها

أرضي التي...

أبصير من تهوى ؟

واصبر ذكرى...ثم لا أذكر

يا أجمل النبضات في قلبي

يا من نعمت لديك بالحب !

أتراي أشقى فيك بالبعض؟

ردي على ابنك....

ابنك المفجوع...ياأرضي!؟[1]

جسد سميح القاسم في هذه الأبيات الأرض (الوطن) بمثابة الأم التي تضم أبنائها وتحميهم من الضياع والشتات، رمز للأرض بالأم التي تعد رمز العطف والحنان والعطاء فقد صور الأرض والوطن بنفس مواصفات الأم البيولوجية، فهذه الأرض شهدت حربا ظالمة حطمت كل آمالها وشتت أبنائها.

استهدف الاحتلال موت الأم بكل همجية وعنف، وذلك لاستئصال الفلسطيني من أرضه واصله وإلغاء انتماءه.

يقول الشاعر وهو ينشج على صدر أمه :

"سألوني عن التي أنا منها

وهي مني

ربابة ومغني

عندليب وسوسنة

وكتاب

[1] سميح القاسم، المصدر السابق، ص486.

وبلال و مئذنة

وانطلاق

من هراء البيداء ، والخيل والليل

لدنيا .. أسوارها خشعت لي

في حنين إلى ولادة طفلي

سألوني .. فما عساي أقول ؟"[1]

رسم سميح القاسم موت الأم في عدة مشاهد، فيقول في قصيدة (الطفل الذي ضحك لأمه المقتولة):

"ولمن تسمع !

وظلت في جوار السور مطروحة

وظلت بضع أزهار

تنزف دما

على صدر جميع عراه مفتوحة

تصيح:تعال يا ولدي"[2]

صور الشاعر في هذه الأبيات الارتباط الوثيق بين الأم وابنها الذي لا ينتهي بالموت فحتى أن ماتت الأم تضل حريصة عليه فهي تناديه تعال يا ولدي"، فرغم أنها تنزف دما إلا أن الأم تبقى متعلقة بأبنائها.

.

[1] سميح القاسم، الديوان، ص 280.

[2] سميح القاسم، المصدر نفسه، ص 203.

يقول سميح القاسم في قصيدة (عزيزي ايفان):

" صغيرا كنت يوم أفقت مذعورا

على صرخات أمي :

آه – مات أبوك مغدورا

وشدتني..

تعال اليّ يا ولدي

فخلف الباب مازالت

ذئاب الليل .. والغربان"[1]

جسد الشاعر في هذه الكلمات خوف الأم على ابنها من العدو الصهيوني الذي شبهته بذئاب الليل والغربان المفترسة .

ويقول في قصيدة (قصفة الفيجن):

"يوم يممت المدينة

أجهشت مغلوبة أمي الحزينة

وبلا حول ولا ،

لمت ثيابي في الحقيبة

وعلى صدري شكت يدها

قصفة فيجن

يدها – آه الحبيبة"[2]

[1] سميح القاسم، الديوان، ص 284.

[2] المصدر نفسه،ص 370.

ويقول في قصيدة (قميصنا البالي):

"ستطول غيبته

وبرد الغرب ، يحكي لا يطاق

يا أمه فتفقدي كل الحقائب

.....

يا أمه ... وقبيل خطوته الاخيره

في هذه الأرض الضريرة

ستشمه رئتا أخيه

وتشمه ما شئت ..

عنك .. تشمه رئتا أخيه

منذ قال : إني راحل !

ما ذقت من حزن طعام

وبكيت طول الليل ..في صمت

محدقة بتابوت الظلام "[1]

تجسد هاته الكلمات مشهد الأم حزينة على ابنها الذي ابتعد على أرضه ووطنه خوفا من غدر العدو .

استنكر سميح القاسم موت المرأة مهما كان دورها في الحياة، فكما صور لنا موت الأم لا يغيب عن شعره صورة المرأة الزوجة التي يدفعها موت زوجها إلى ساحة الحرب لإكمال مسيرته، فهي لا تقل عنه بطولة وشجاعة، ولا تهب الموت فهي قدمت نفسها فداء لوطنها.

[1] سميح القاسم ، المصدر السابق ،ص 454- 455.

يقول في قصيدة(انسلاخ):

لم أجدها في كومة اللحم

قالوا

أبصروها في أول القصف

كانت خلف كيس الرمل الأخير

وقالوا

وأبصروها في خندق من بعيد

تتشظى وكان بين يديها وجه طفل

وقيل كانت تقاتل "[1]

صورت هذه الأبيات المرأة الفلسطينية المناضلة التي تقف مع الرجل جنبا لجنب من اجل الدفاع عن أرضها وكرامتها، وهنا جسد سميح القاسم موتها كتعبير عن الفقد والخسارة وما يتركه فقدانها من اثر عاطفي ونفسي عميق في ذات الشاعر.

4- الموت الرمزي (القدس):

ارتبط اسم فلسطين بالموت ارتباطا وثيقا،تجسيدا لما يعيشه الشعب الفلسطيني من مأساة وألم على مر التاريخ، لهذا شكل الموت حضورا مؤثرا في شعر سميح القاسم، حيث وظفه ببراعة للتعبير عن مختلف جوانب ما يعانيه هذا الشعب، إضافة إلى التأكيد على الهوية الفلسطينية، والتحفيز على المقاومة والنضال، حيث برز الموت كأحد أهم التيمات التي تناولها سميح القاسم للتعبير عن مشاعره اتجاه وطنه مجسدا الآلام ومآسي وجراح الشعب الفلسطيني تحت وطأة الكيان الصهيوني.

ومن تجليات الموت في شعره حول فلسطين، يقول سميح القاسم في قصيدة (أنادي الموت):

[1] سميح القاسم، الأعمال الكاملة، مج 3، ص 260، 261.

"فأنا يا أم أطفالي الشقية

أنا لا أبني سياجا حول أيامي القتيلة

إني أرفع وجهي للرياح

أتحداها....وأعطي في الصباح

المساكين، تراتيلي القليلة"[1]

إن هذا الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني عبارة عن حياة مكبلة، إذ تجعل الموت حرية وتحرر من المعاناة والقهر الذي أصبح يلازمه، نلاحظ أن حضور فلسطين في شعر سميح القاسم بصفة الأم كرمز للحب والحنان والعطاء، ولهذا الواجب على أبنائها التضحية والدفاع عنها وتقديم النفس والنفيس من أجل أن تبقى هي حية.

يقول سميح القاسم في قصيدة (اسمها القدس):

"من رآها بفوضى انكسار الترانيم

شاردة...دامية

من رأى طفلتي الباكية

في انفجار الدروب، وما من دروب

من رآها حاسما لهل الحانية فوق جمر الهروب

من رأى طفلتي الضائعة

دون أم تحن ودون أبّ"[2]

[1] سميح القاسم، الديوان، ص228.

[2] سميح القاسم، كتاب القدس، بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، ط1، 2009، ص 77 78، نقلا عن مجلة المنارة، أسماء سالم، القدس في شعر سميح القاسم، المجلد 23، العدد (01)، ص 248.

في هذا المشهد يجسد الشاعر صورة القدس المأساوية وما تمر به من ظروف قاسية وما يعتريها من آلام وقهر وهموم ومعاناة، إذ يرمز لها بالطفلة اليتيمة الوحيدة التائهة التي تخلى عنها الجميع، إذ يعبر الشاعر عن موقف العرب الذين تخلوا على نصر القدس المحتلة.

ويقول أيضا:

"يا يبوس، ويا قدس، ويا أورشليم

ضيعتك الخطايا، فهل أسعفتك الذنوب

يا ابني

هل أنا ما يشاء الصليب

وهل أنت جلجلتي

آخ ياوردتي

أنت يا حسرتي

آخ أنت يا جمرتي"[1]

من خلال هاته الكلمات نلاحظ أن الشاعر نادى بعدة أسماء، فيبوس، وابلياء والقدس وأورشليم والصليب، ابنتي، حسرتي، جمرتي كلها رموزا تعبر عن الصورة المؤلمة التي آلت إليها القدس، هاته الأسماء التي تدل على معاني تاريخية ورموز دينية قديمة توحي بالآلام والمعاناة والضعف، فالنسبة للشاعر لم تكن القدس اسم يرتبط بمدينة فحسب، بل كانت رمزا من رموز القداسة، تجمع بين التاريخ والعقيدة والوطن والهوية.

يقول سميح القاسم في ذات القصيدة:

"على صخرة القدس أقسم أن ينكسر حقد السيوف

[1] سميح القاسم، كتاب القدس، ص 77 78، نقلا عن المجلة نفسها، ص 249.

وأن يتحطم طيش الرماح

ووعدا، وعهدا، سنخلق منها المناجل

نصنع منها المحاريث، كيف نشاء

ونبدع منها المطارق

وفي سر أنهارها نحن نطفيء وهم الحرائق"[1]

ظهر الشاعر هنا بصورة الفلسطيني المناضل المقاوم، مناديا للثورة والنضال من أجل الدفاع على صخرة القدس، حيث أقسم على القضاء على المحتل الذي رمز له باسم ريتشارد، كما توعد بالمقاومة بكل الوسائل من سيوف ورماح ومناجل التي ترمز إلى الثورة والدفاع عن الوطن وعدم الخضوع للمحتل الغاضب، وعدم قبول حياة الذل والهوان فيفضل الثورة والموت من أجل أن تبقى القدس حرة مستقلة.

تجلت صورة القدس في شعر سميح القاسم بشكل قوي وصارخ فهي رمز للأمة الفلسطينية والعربية، حيث صور موت القدس موت لهوية وأصالة هاته الأمة.

ثانيا: تجليات الحياة في شعر سميح القاسم:

لقد حاول الشاعر سميح القاسم أن يساند قضية شعبه الفلسطيني من خلال شعره حيث دعا إلى الثورة ضد العدو الإسرائيلي، فالقضية الفلسطينية من القضايا التي ألقت بظلالها على الشاعر وحملته عبء مقاومة الاحتلال وتصوير ما حل بوطنه فلسطين والنهوض من قلب المأساة والصمود في وجه الواقع المعاش.

ومن خلال دراستنا وتحليلنا لبعض قصائد سميح القاسم انطلاقا من تيمة الحياة في تجربته الشعرية، فقد لاحظنا تعدد الصور الشعرية في قصائده، فعبر الشاعر لنا من خلال شعره عن صور كثيرة للحياة التي تتداخل في الوجود والمقاومة والهوية نذكر منها:

1- الحياة مقاومة و كفاح:

[1] سميح القاسم، كتاب القدس، ص 87، نقلا عن المجلة السابقة، ص 252.

يُظهر سميح القاسم الحياة على أنها تتجلى في مقاومة الأنظمة الظالمة والاحتلال فالحياة بالنسبة لسميح القاسم نضال مستمر من أجل الحرية واستعادة الحقوق المسلوبة.

لقد ارتبطت قصائد سميح القاسم بالواقع المعاش فهي تدخل القلوب والعقول وتحرك المشاعر، وتوقد نيران الانتفاضة في نفوس الفلسطينيين، فقد كان القاسم يعمل على تشجيع أبناء شعبه على الكفاح والنضال من أجل حياة جديدة يستحقونها وذلك كله من خلال شعره

فيقول في قصيدة له:

"قوموا اخرجوا من قبْوكم يأيها النيام !

اليوم للأعراس

دقوا له الأجراس

وارفعوا الأعلام

لا قوة في حماس

لا قوة بالهتاف...بالأفراح...بالأغاني

هبّوا اصنعوا أعظم مهرجان

غطوا المدى بأغصن الزيتون

وطيروا الحمام

جاءكم السلام

يامرحبا....جاءكم السلام!"[1]

في هذا المقطع من القصيدة يصور لنا الشاعر مطالبة الفلسطينيين للسلام من خلال معاهدات السلام التي أبرمت مع المحتل الصهيوني فقد تفاءل سميح بحدوث السلام بقوله المكرر:"**جاءكم السلام**"، فسميح القاسم شاعر صامدا ثابتا واقفا بصبر وشموخ رغم الضغوط

[1] سميح القاسم، الديوان، ص117/116

التي تعرض لها فهو دائما متفائل بالسلام بقوله "**غطوا المدى بأغصن الزيتون ""وطيروا الحمام**"، فالشاعر وظف كلمات وألفاظ دالة ورامزة على السلام غصن الزيتون والحمام فهي كلها ألفاظ دالة على أن هناك أمل بالحرية والاستقلال والسلام وبداية حياة جديدة لأبناء شعبه، فسميح كان يعمل دائما على خلق لغة تعبيرية تفاؤلية يتحدى بها الاحتلال، فهو دوما يعمل على رفع معنويات شعبه وبعث روح الأمل فيه بحدوث السلام وتحقيق الانتصار رغم الواقع السيئ الذي يعيشونه

2- الحياة في تفاصيل الطبيعة:

تعد الطبيعة بمكوناتها من التيمات الغنية في شعر سميح القاسم، إذ يحتفي بتفاصيلها كرمز للحياة و الخصوبة و الجذور التي لاتقهر

يقول في قصيدة له بعنوان (لن):

"واحدا تلو واحد...

يسقط الميتون تباعا

فاحرسي يابلادي الشراعا

عائد فارس الريح عائد!

قطرة تلو قطرة...

يمطر الدمع فوق الصحاري"[1]

"فابشري بإخضرار

ياسهوب الرؤى المكفره

كان أمسا مقيتا

داسنا باحتقار وولى

[1] سميح القاسم، المرجع السابق، ص497.

وغدا لن نبيتا

مزقا تذرع الأرض وهنا وذلا

قسما...جذرنا لن يموتا!

قسما...دمنا لن يطلا !!"[1]

من المتأمل أن الشاعر قد تحدى الحزن والهزيمة ورغم تساقط الأموات يوما بعد يوم إلا أنه يحمل رؤية تفاؤلية وذلك من خلال قوله:"**فابشري باخضرار**"كما في قوله "**جذرنا لن يموت**"فهي كلها ألفاظ وعبارات تدل على أن الشاعر يحاول جاهدا على الدفع بشعبه الفلسطيني إلى الأمل والتفاؤل بحياة جديدة رغم ما يعيشه من معاناة وألم وحسرة بسبب ظروف الحرب الصعبة.

كان سميح القاسم مخلصا للقضية الفلسطينية فهو شاعر الصمود والمقاومة، بما تحمله قصائده من دعوة أبناء شعبه للصمود في وجه المحتل الصهيوني، ليغدو صاحب تجربة إبداعية فذة، حيث بقي صامدا ثابتا واقفا بصبر وشموخ رغم الضغوط.

لكن سميح القاسم في بعض الأحيان أجبرته الظروف المأساوية التي يعيشها في وطنه جراء الاحتلال الصهيوني إلى التشاؤم واليأس من هذه الأوضاع فدفع بنفسه إلى الاغتراب.

3- الحياة ألم و أمل:

لا يتجاهل سميح القاسم الألم والمعاناة التي تأتي مع الحياة، لكن في الوقت نفسه، يحافظ على خيط الأمل الذي يسير موازيا للألم، ويقدم رؤية متفائلة بإمكانية التغيير والبقاء.

فرغم سعي سميح القاسم على بث الأمل والتفاؤل لكن لا تخلو قصائده في بعض الأحيان من لحظات اليأس و الإحباط والتشاؤم وذلك نتيجة ما يفعله المحتل الصهيوني بشعبه الفلسطيني وما يعانيه أبناء شعبه من ألم وقهر وحرمان وضياع وتشرد فكان عليه أن يعتبر ويكشف عن موقعه ليبين رؤيته الشعرية التشاؤمية يقول سميح القاسم في قصيدة (البحث عن الجنة)

[1] سميح القاسم ، المصدر السابق، ص498.

"عبثا تحاول أن تنام !!...

فاحمل مصيرك وامض في الدرب الطويل

تحفك الأخطار، جدد رحلة الأحزان في أرض الضياع

القاحل المشؤوم،

في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة تقطع

الأبعاد...بالقرصان و الملاح"[1]

"والأطفال و الشيخ العجوز و غادة عذراء

حالمة بفارسها الجميل..... وزوجة فضلى

وزانية وقديس وإنسان يغامر

في سبيل الحق، يحدجه اللصوص

ويهمسون.... ويرسمون

خططا يطل ورائها وجه يقهقه ساخرا

عبث حياتكمو!..جنون !!.."[2]

وظف الشاعر في هذه الأسطر الشعرية مجموعة من العبارات الدالة على الضياع والاغتراب واليأس والتشاؤم منها "**تحفك الأخطار رحلة الأحزان أرض الضياع القاحم المشؤوم الأسى الطامة**" فقد صور الشاعر حالة الشعب الفلسطيني وهو يتخبط في ذل العبودية والقهر والظلم بأبشع صورة فهذه الحالة المقلقة أدت بالشاعر إلى تحريض الشعب الفلسطيني و إيقاظه من سباته موظفا ورامزا لذلك بأسطورة (بوليس)

[1] سميح القاسم:المصدر السابق.ص306

[2] سميح القاسم ،المصدر نفسه،ص307

4- الحياة تراث وهوية:

عميق هو جذر الحياة في شعر سميح القاسم بالتراث والهوية الفلسطينية والعربية، يشكل الاحتفاء بالتاريخ والثقافة جزءا لا يتجزأ من الصورة الشعرية للحياة في أعماله إذ يقول كذلك في قصيدة(البيت الحزين)

"قامرت في ملهى السنين

وخسرت جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين

وبكيت في أسف....وأخفيت الدموع

ودفنت في صمت أزاهيري

وأبّنت الربيع

ورجعت لبيت الحزين

أبكي على جدرانه... و أبوح بالسر الهجين !

و هناك... من خلف السياج

خفّت إليّ نشائد الموتى

و أطفأت السراج

فحصرت من لهب العيون

نورا..... وصحت:أنا هنا يا مشعل المتمردين"[1]

فمن خلال هذا المقطع من قصيدة (البيت الحزين) نلاحظ أنه يحمل أبعادا رمزية بحيث قدم الشاعر صور متعددة للوطن، فصورة البيت الحزين عبر فيها الشاعر عن خيبة أمله التي أصابته إذ يعود إلى وطنه مهزوما فهو يصور أولى مغامراته من خلال تصوير مجسد للزمن بقوله "**قامرت في ملهى السنين** " فالشاعر عاش فترة مأسوية في حياته إذ

[1] سميح القاسم ، الديوان، ص 505/504

خسر جوهرة فريدة، وهي هنا كلماته المقاومة وهذه الخسارة جعلته يفقد أمله ويدخل في دوامة التشاؤم والاغتراب من خلال قوله "**دفنت في صمت أزاهيري وأبنت الربيع**" فيجسد صورة الربيع وكأنه قتل نتيجة المغامرة الخاسرة ولم يجد ملاذا إلا الرجوع إلى جدران بيته الحزين يبوح له بالسر الذي غص في حلقه.

تمثلت صلة الشاعر سميح القاسم بالشعب الفلسطيني والعربي في البعد القومي وظهور ذلك في شعره بصورة جلية حيث جاءت قصائده لتقدم لنا صورة واضحة لما يعيشه الشعب الفلسطيني جراء الظلم المسلط عليهم من قبل الاحتلال الإسرائيلي

ولعل تلك الصلة التي نشأت بين الشاعر أبناء شعبه كانت سببا رئيسيا في شعوره بمرارة القهر والغربة بحيث استطاع الشاعر أن يوظف الواقع المرير الذي يعيشه أبناء شعبه و تصديهم لسيطرة المحتل و الدفاع عن القضية الفلسطينية

كما نلاحظ أن سميح القاسم من خلال كتاباته يحاول جاهدا تدوين تاريخ الشعب الفلسطيني خاصة و العربي عموما فتمثلت أغلب قصائده في صور واقعية التي اختلطت فيها مشاعر الحزن بالألم و التمرد فانعكس ذلك الواقع على تفكيره كما جاء في قوله في قصيدة (مزمور بقايا الفلسطينيين)

"**من هنا**

من مطهر الأحزان في ليل الجريمة

أيها العالم تدعوك العصافير اليتيمة

من هنا من غزة الموت

ومن جينين و القدس القديمة

أيها العالم ندعوك

فرد الغاز، والنابالم والأيدي الأثيمة !

هللويا.....

.....

ذات يوم

كان في غزة صبر وحنين

وفلول من أناس طيبين

ذات يوم، كان موال حزين

يشعل النكبة في كل خيام اللاجئين"[1]

يرسل الشاعر سميح القاسم في هذا المقطع من هذه قصيدة صرخة احتياج إلى الضمير العالمي بحيث تحدث عن شعبه الفلسطيني بمرارة وألم كبيرين، فيرى صورة الفلسطينيين الذين وصفهم ب"**العصافير اليتيمة**"في إشارة منه بأنه لا يوجد من يدعمهم أو يقف إلى جانبهم، نتيجة النكبة الوحشية التي تعرض لها شعبه من قبل المحتل الصهيوني حتى أصبح الفلسطينيون يطلبون يد العون من العالم لحماية غزة وجنين، ولكن دون جدوى لا أحد يجيب النداء.

ثالثا/جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم:

من خلال تجربة سميح القاسم الشعرية، نلاحظ أن الشاعر حمّل نفسه مسؤولية التعبير عن واقع وطنه المعاش، فتجسدت جدلية الموت والحياة لرصد ما يعانيه أبناء وطنه من آلام وقهر ويأس في حين حاول جاهدا تغيير هذا الواقع من خلال تحريضه على النضال وحرصه على المقاومة لاسترجاع وطنهم وكرامتهم وهذا يكون بالصبر والقوة والتحدي لأجل خلق حياة من رحم الموت.

يقول الشاعر في قصيدة (انتفاضة):

"**تقدموا**

من شارع... لشارع

[1] سميح القاسم، المصدر السابق، ص194.

من منزل... لمنزل

من جثة... لجثة

تقدموا

يصبح كل حجر مغتصب

تصرخ كل ساحة من غضب

يضج كل عصب

الموت.... ولا الركوع

موت.....ولا ركوع

تقدموا

هاهو ذا تقدم المخيم

تقدم الجريح والذبيح والثاكل، والميتم" [1]

جسد الشاعر في هذه الأبيات رؤيتين مختلفتين، الأولى رصد فيها أفعال المحتل الشنيعة وجرائمه النكراء من قتل وذبح وتيتيم وتشريد، وتمثلت الثانية في انتفاضة الشاعر وحثه على عدم الاستسلام والصبر والتحدي، فيقول الموت و لا الركوع موت ولا ركوع وهذا للتأكيد على النضال والتضحية والموت في سبيل الوطن و الحرية.

يقول سميح القاسم في قصيدة (خطاب سوق البطالة):

"ربما.. افقد معاشي

ربما.. اعمل حجارا و عتالا، وكناس شوارع

.....

[1]. سميح القاسم، الأعمال الكاملة،مج3، ص 111/110

ربما اخمد... عريانا... وجائع

ياعدو الشمس....لكن لا أساوم

وإلى أخر نبض في عروقي سأقاوم"[1]

في هذه الكلمات جسد الشاعر حالة الشعب الفلسطيني والواقع الأليم الذي يعانيه من عرى وفقر وجوع، حيث جسد صورة الموت (المجازي) في اليأس لكن تبقى روح المقاومة والإصرار على الثورة في نفس الشعب الفلسطيني لتجسد تعلقهم بالحياة.

يقول سميح القاسم في قصيدة (بوابة الدموع):

"أحبابنا خلف الحدود

ينتظرون في أسى ولهفة مجيئنا

أذرعهم مفتوحة لضمنا لشمنا

قلوبهم مراجل الألم، تدق في تمزق أصم

تحار في عيونهم... ترجف في شفاههم

أسئلة عن موطن الجدود

غارقة في ادمع العذاب والهوان والندم

أحبابنا خلف الحدود

يسألون كيف حال بيتنا التريك

وكيف وجه الأرض...هل تعرفنا إذ نعود ؟

ياويلنا

حطام شعب لاجئ شريد"

[1]. سميح القاسم، الديوان ، ص 447

ياويلنا من عيشة العبيد

فهل نعود ؟ هل نعود ؟"[1]

يحكي الشاعر في هذه القصيدة ألم الشعب الفلسطيني في الغربة الذي يعاني ألم البعد والتشريد، والذي ينتظر العودة إلى الديار الغارقة في العذاب والهوان بلهفة واشتياق فيسأل على حال وطنه الوحيد وهل ستتعرف عليه بعد كل هذا الابتعاد، جسد الشاعر ألم الاغتراب مظهر من مظاهر الموت.

سميح القاسم في قصيدة (أكثر من معركة):

"رغم الشك و رغم الإحزان

اسمع... اسمع... وقع خطى الفجر

لن اعدم إيماني

في أن الشمس ستشرق

شمس الإنسان

ناشرة ألوية النصر

ناشرة ما تحمل من شوق وأمان"[2]

من خلال هاته الكلمات نرى الشاعر يلوح الأمل في الأفق ويحلم بالحرية رغم الألم والأحزان، فرغم معاناة الشعب الفلسطيني إلا أن حلم الشاعر ليس ببعيد فمن عتمة الليل يبزغ فجر جديد ومن قلب المعركة يفتك النصر وكل هذا بالأمل والتفاؤل لتشرق شمس الحرية وتخلق حياة من الموت.

يقول الشاعر في قصيدة (الطريق):

"ابدا على هذا الطريق

[1]. سميح القاسم، المصدر السابق ، ص 57/ 58

[2]. سميح القاسم، المصدر نفسه، ص 77/76

راياتنا بصر الضرير، وصوتنا أمل الغريق

ابدا جحيم عدونا...ابدا نعيم الصديق

بضلوع موتانا نثير الخصب في الأرض اليباب

بدمائنا نسقي جنينا في التراب

ونرد حقلا شاخ... فيه الجذع في شرح الشباب"[1]

في هذه القصيدة يدعو سميح القاسم إلى خلق حياة جديدة إلى رفع الرايات والأعلام توحيد الصوت وإعلان لا للهزيمة لا للذل والانكسار لا للخضوع نعم للثورة والنضال نعم للمعركة والقتال نادى للتضحية وتقديم الغالي والنفيس، فبضلوع الموتى ودماء الشهداء تسترجع الأرض فبعد الحرب يأتي النصر ومن الموت تولد الحياة.

فمنذ احتلال فلسطين ظل سميح القاسم يرافق هذه القضية المقدسة بكل أبعادها ولأنه أصدق وأعمق تعبيرا كان واحد من بين الشعراء الذين تبنوا القضية وحملوها على أعناقهم واتخذوا من أقلامهم سلاحا مدافعين به عن وطنهم.

الشاعر الفلسطيني سميح القاسم الذي استلهمته حوادث العصر ومجرياته، فهو ابن الوطن الذي عاش كل هاته الأحداث وواكب الآلام والأحزان والمآسي فنجده شاعر تفرد بنظرته العميقة و قدرته الكبيرة في إبراز القضية في شعره كما تميز بلغته الفنية الصادقة والتزامه الصارم بمبادئه، ساهم في نشر الوعي حول هاته القضية فكان أشد المدافعين عنها.

كتب سميح القاسم فأبدع في التوفيق بين جدلية الموت والحياة التي من خلالها عمل على إيصال معاناة شعبه ومعاناة وطنه المسلوب، دعا سميح القاسم إلى المقاومة والنضال، إلى الثورة و الالتزام من خلال قصائده فهو شاعر لم يهب الموت بل الموت عنده أسمى من حياة الاضطهاد نادى إلى ساحة المعركة إما أن يتحقق النصر أو الموت الأسمى (الاستشهاد) الشهادة في سبيل الوطن أشرف من حياة في قبضة المحتل، شكل الموت بنية أساسية في شعره حيث كان له حضور قوي خلال مسيرته النضالية، كما كان يعني الثورة

[1]. سميح القاسم،المصدر السابق، ص 346

والانبعاث والنصر والتجديد ونقطة انطلاق نحو تحقيق الانتصارات حتى في لحظات الحزن واليأس والهزيمة، تجربة سميح القاسم لم تكن سهلة فهو يجد التعبير عن معاناة شعبه يدفعه إلى التشاؤم والاغتراب وفقد الأمل، وهنا تتكون صورة الموت لكن ليس ببعيد لتكن الدافع للمقاومة والنضال وعدم الاستسلام واسترجاع ما سلب منه ومن شعبه لأجل أن تشرق شمس الحرية ويكون غد جديد ملئ بالأمل والتفاؤل لتتجلى صورة حياة أفضل، لشعب تحدى الصعاب فكانت النتيجة استقلال وحرية ومن هنا نلاحظ تداخل وتفاعل الموت والحياة في شعر سميح القاسم.

خاتمة

وفـي ختـام هـذا البحـث و بعـد الخـوض فـي غمـار الشـعر العربـي المعاصـر عامـة وصحبة سميح القاسم خاصة نستخلص:

- أن ثنائية الموت والحياة ثنائية جوهرية شغلت حيزا بارزا في الشعر العربي المعاصر أبدع الشعراء المعاصرون في ربط هاتين التيمتين ببعضهما مقدمين رؤية عميقة ترصد تجاربهم الخاصة وتطلعاتهم المستقبلية.
- اختلفت رؤية الشعراء المعاصرين للموت، فمنهم من عبر عن خوفه من الموت وقلقه من المجهول، فمنهم من واجهه بشجاعة واعتبره المخلص من قيود الحياة فهو الراحة والمستقر في حين يراه فريق من الشعراء بداية لحياة جديدة.
- أبدع الشعراء المعاصرون في توظيف ثنائية الموت والحياة فمجدوا الموت كونه تعبيرا عن الحرية من خلال الموت في سبيل الوطن.
- جسد الشعراء المعاصرين ثنائية الموت و الحياة صراع بين الم وأمل.
- سميح القاسم لم يمجد الموت لكونه موتا، بل رآه ضريبة ضرورية للوصول إلى الحرية.
- عبر سميح القاسم في شعره عن إيمانه بقدرة الإنسان على التغلب على الموت وتحقيق الخلود والبقاء.
- ركز الشاعر في شعره على رصد المشاهد الدموية والمجازر التي كان أكثر ضحاياها أطفال ونساء.
- واجه سميح القاسم الموت بكل شجاعة وبسالة، فلم يهب الموت ولم يرضخ للمحتل وظلمه.
- تصوير الشاعر للموت بأحداث واقعية حيث رسم لها مشاهد حقيقية، وهذا لانتشارها بكثرة على الأراضي الفلسطينية.
- يرثي سميح القاسم أهله وأحبائه، مجسدا ألم الفقد والحزن.
- سعى القاسم داعيا إلى المقاومة والنضال والتحدي، وبث روح التفاؤل والأمل والإصرار في أبناء وطنه الذي يعاني الظلم والتهميش.
- يوظف سميح القاسم الطبيعة والأرض كرمز للانتماء والهوية.
- من خلال ما ذكر سابقا نلاحظ تجلي واضح ومميز لجدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم عبر مختلف مراحله الإبداعية، فكان الموت حاضرا بقوة في تجربته

النضالية وهو ليس بالنهاية بل بداية جديدة، فمن رحم الموت تخلق حياة جديدة وتشرق شمس الحرية لأن تضحيات الشهداء لن تذهب سدى، وفي مقابل الموت يصور حياة مليئة بالصبر والتفاؤل والصمود من أجل الدفاع عن الأرض والحفاظ والتشبث بالهوية.

- إن جدلية الموت والحياة تشكل إحدى أهم سمات شعر سميح القاسم، فهي رسالة أمل وإيمان بقدرة الشعب على التغلب على الصعاب وتحقيق الانتصارات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/المصادر

1 – سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج3، دار السعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م

2– سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة، لبنان، (د ط)، 1987م

ثانيا/المراجع

1– أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مريولي، القاهرة، ط3، 1987 م

2– بدر شاكر السياب، ديوان بدر شاكر السياب، مج1، دارالعودة، بيروت، (د ط)،2016م

3– بدر شاكر السياب، ديوان بدر شاكر السياب، مج2، دارالعودة، بيروت، (د ط)،2016م

4– تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشروق، (د ط) (د ت)

5– صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور، مج3، دار العودة، بيروت، (د ط)،1988م.

6– عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2005م

7– عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) دار الفكر العربي، ط3، (د ت)

8– محمود درويش، الديوان الأعمال الأولى 1، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005م.

9– محمود درويش، الديوان الأعمال الأولى3، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005م.

10– محمود محمد علي، سميح القاسمي، أيقونة أدب المقاومة الفلسطينية، (د ط)(د ت)

11– نزار قباني، قصائد كل عام وأنت حبيبتي، ديوان شعري، (د ط) (د ت)

12- نزار قباني، قصائد، ديوان شعري، ط 25، 1981م
13- نسيب شاوي، مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط) (د ت)

ثالثا/المجلات

1- مجلة المنارة، القدس في شعر سميح القاسم، المجلد 23، العدد (01).

2- مجلة كلية دار العلوم، ثنائية الموت والحياة في ديوان فهد العسكر(....-1951)، العدد145، مايو2023 م

رابعا /المواقع الالكترونية

1- موقع ويكيبيديا،سميح القاسم/https:ar.wikpedia.org/wiki،تاريخ الزيارة 2024/02/25

الملاحق

- **التعريف بسميح القاسم:**

1/مولده:

يعد سميح القاسم واحدا من أهم الشعراء الذين تبنوا قضية الجماهير العربية الفلسطينية وكفاحها المشروع ضد الإحتلال الصهيوني.[1]

ولد بمدينة الزرقاء بالأردن سنة 1939م، من أسرة قروية، أنهى دراسته الابتدائية في بلدته "الرامة" بالجليل، والتحق بثانوية الناصرة، حارب الطائفية وعمل في سلك التعليم، ولكنه سرح بسبب شعره، أسس سميح "منظمة الأرض"العربية بهدف الخروج على التجمعات المشتركة بين العرب والإسرائليين إلى إقامة منظمات عربية خاصة، ورحل مع صديقه محمود درويش إلى مهرجان الشباب بصوفيا عام 1968مع الوفد الإسرائيلي، وآثار حضورهما ضجة كبيرة في العالم، جمعت أشعاره كاملة في "ديوان سميح القاسم "سنة 1973م، ثم كتب رواية "إلى الجحيم أيها الليلك "سنة 1977م، وهي أشبه بالترجمة الذاتية أعتقل أكثر من مرة، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وتحدث عن الضجر والسجن والاحتلال والمقاومة بروح ثائرة، واستعمل الرمز يدافع عن نظرية "حرية المبدع"التي قال بها.[2]

2/جوائزه:

تحصل سميح القاسم على العديد من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف في عدة مؤسسات:

*نال جائزة "غاز الشعر"من اسبانيا.

*وعلى جائزتين من فرنسا عن مختاراته التي ترجمها إلى الفرنسية، الشاعر والكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي.

*وحصل على جائزة البابطين.

[1]ينظر:محمود محمد علي، سميح القاسمي، أيقونة أدب المقاومة الفلسطينية، ص7.

[2]نسيب شاوي، مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص118.

*وحصل مرتين على "وسام القدس للثقافة "من الرئيس ياسر عرفات.

*وحصل على جائزة نجيب محفوظ من مصر.

*وجائزة السلام من واحة السلام.

*وجائزة الشعر الفلسطينية.[1]

3/أعماله:

توزعت أعمال سميح القاسم مابين الشعر والنثر والمسرحية والرواية والبحث والترجمة.

1-مواكب الشمس -قصائد سنة 1958م.
2-أغاني الدروب -قصائد سنة 1964م.
3-ارم-سربية-سنة1965م.
4-دمي على كفي -قصائد سنة 1967م.
5-دخان البراكين -قصائد سنة 1968م.
6-سقوط الأقنعة -قصائد سنة 1969م.
7-ويكون أن يأتي طائر الرعد -قصائد سنة 1969م.
8-اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل -سربية سنة1970.
9-قرقاش-مسرحية سنة 1970م.
10-عن المؤلف والفن -نثر سنة 1970م.
11-ديوان سميح القاسم -قصائد سنة 1970م.
12-قرآن الموت والياسمين -قصائد سنة 1971م.
13-الموت الكبير-قصائد سنة 1972م.
14-مراثي سميح القاسم -سربية سنة 1973م.
15-إلهي إلهي لماذا قتلتني ؟
16-من فمك أدينك -نثر سنة 1974م.

[1] ينظر: موقع ويكيبيديا، سميح القاسم/https:ar.wikpedia.org/wiki،تاريخ الزيارة 2024/02/25

17–وماقتلتوهوماصلبوه ولكن شبه لهم!– قصائد سنة 1976م.
18–ثالث أكسيد الكربون –سربية سنة 1976م.
19–الكتاب الأسود –يوم الأرض –سنة 1976م.
20–إلى الجحيم أيها الليلك –حكاية سنة 1977م.
21–ديوان الحماسة /ج1–قصائد سنة 1978م.
22–ديوان الحماسة /ج2–قصائد سنة 1979م.
23–أحبك كما يشتهي الموت –قصائد سنة 1980م.
24–الصورة الأخيرة في الألبوم –حكاية سنة 1980م.
25–ديوان الحماسة /ج3–قصائد سنة 1981م.
26–الجانب المعتم من التفاحة /الجانب المضيء من القلب –قصائد سنة 1981م.
27–الكتاب الأسود سنة 1981م.
28–جهات الروح –قصائد سنة 1983م.
29–قرابين –قصائد سنة 1983م.
30–كولاج –تكوينات سنة 1983م.
31–الصحراء –سربية سنة 1984م.
32–برسونانونغراتا:شخص غير مرغوب –قصائد سنة 1986م.
33–لاأستأذن أحدا –قصائد سنة 1988م.
34–سبحة للسجلات –قصائد سنة 1989م.
35–الرسائل–نثر (مع محمود درويش)سنة 1989م.
36–مطالع من أنثولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام –بحث وتوثيق سنة 1990م.
37–رماد الوردة، دخان الأغنية –نثر سنة 1990م.
38– أخذة الأميرة يبوس–قصائد سنة 1990م.
39–الأعمال الناجزة (7مجلدات)سنة 1991م.
40–الذاكرة الورقاء(قصائد مترجمة من العبرية –مع نزيه خير)سنة 1991م.
41–الراحلون –توثيقسنة 1991م.

42-الأعمال الناجزة (7مجلدات)سنة 1992م.
43-الأعمال الناجزة (6مجلدات)سنة 1993م.
44-الكتب السبعة -قصائد سنة 1994م.
45-أرض مراوغة، حرير كاسد، لابأس!قصائد سنة 1995م.
46-ياسمين (قصائد لروني سوميك -مترجمة عن العبرية، مع نزيه خير)سنة 1995م.
47-حذلتني الصحاري -سربية سنة 1998م.
48-كلمة الفقيد في مهرجان تأبينه -سربية سنة 2000م.
49-سأخرج من صورتي ذات يوم -قصائد سنة 2000م.
50-الممثل وقصائد أخرى سنة 2000م.
51-حسرة الزلزال -نثر سنة 2000م.
52-كتاب الإدراك -نثر سنة 2000م.
53-ملك أتلانتس-سربيات سنة2003م.
54-عجائب قانا الجديدة -سربية سنة2006م.
55-مقدمة ابن محمد لرؤى نوستراسميحداوس-شعر سنة 2006م.
56-بغداد وقصائد أخرى -قصائد سنة 2008م.
57-بلا بنفسج (كلمات في حضرة غياب محمود درويش)سنة 2008م.
58-أنا متأسف -سربية 2009م.
59-مكالمة شخصية جدا (مع محمود درويش)-شعر ونثر سنة 2009م.
60-كولاج2-شعر سنة 2009م.
61-لا توقظوا الفتنة !-نثر سنة 2009م.
62-كتاب القدس -شعر سنة 2009م.
63-حزام الورد الناسف -شعر سنة2009م.
64-الجدران (أوبريت)-شعر سنة2010م.
65-أولادفي حملة خلاص -حكاية شعرية لبيرتولدبريثت(مترجمة من العبرية)سنة2010م.
66-ملعقة سم صغيرة، ثلاث مرات يوميا -حكاية أوتوبيرغرافية سنة 2011م.

67-إنها مجرد منفضة -سيرة (الجزء قبل الأخير)سنة 2011م.

68-منتصب القامة أمشي -مختارات شعرية سنة 2012م.

69-هواجس لطقوس الأحفاد -سربية سنة 2012م.

70-كولاج 3-شعر سنة 2012م.

71-العنقاءوقصائد أخرى سنة 2012م.

72-غوانتانامو وقصائد أخرى سنة 2012م.

73-بغض النظر -مجموعة شعرية سنة 2012م

الملخص

الملخص :

يستخدم الشعراء العرب المعاصرون ثنائية الموت والحياة للتعبير عن الوجود الإنساني وتجارب الحياة والموت،يقدمون رؤى وجهات نظر مختلفة حول المفهومين ويناقشون الحقائق الجوهرية للحياة والموت .

في شعر سميح القاسم نرى رؤية متجذرة في التأمل بالوجود والموت كجزء لا يتجزأ منه، يُظهر الشاعر سميح القاسم تعاطفا مع قضايا الإنسانية والعدالة والحرية بروح المقاومة والنضال يرى الموت على أنه أحد أشكال الحياة وفرصة للانتفاضة والاستمرارية الروحية .

باستخدام رموز شعرية غنية ولغة راقية، ينقل القاسم رؤيته الشخصية للموت والحياة ، ويعبر عن الأمل والتفاؤل رغم قسوة الظروف . يثبت القاسم أن الحياة تستمر وتنمو في مواجهة المحن، وأن الموت ليست نهاية مطلقة بل مجرد محطة في مسيرة الوجود

وفي النهاية ،يظل شعر سميح القاسم مصدر إلهام ودافع للتأمل في الثنائية بين الموت والحياة وتجاوز حدود الوجود والعيش بصدق وعمق .

يجسد شعر سميح القاسم الروح الإنسانية بكل تعقيداتها وجمالياتها، ويدعونا للتفكير في معاني الحياة والموت بأبعادهما المتعددة .

الكلمات المفتاحية :

ثنائية الموت والحياة – الشعر العربي المعاصر – سميح القاسم –النضال والمقاومة – الأمل والتفاؤل – القضايا الإنسانية والعدالة

Synopsis :

Contemporary Arab poets use the duality of death and life to express human existence, experiences of life and death, offer insights and different points of view on the two concepts and discuss the fundamental realities of life and death . In Samih al-Qasim's poetry we see a vision rooted in contemplation of existence and death as an integral part of it, the poet Samih al-Qasim shows sympathy for the issues of humanity, justice and freedom in the spirit of resistance and struggle he sees death as one of the forms of life and an opportunity for Uprising and spiritual continuity . Using rich poetic symbols and refined language, al-Qasim conveys his personal vision of death and life, expressing hope and optimism despite the harshness of circumstances . Al-Qasim proves that life goes on and grows in the face of adversity, and death is not an absolute end but just a stop on the path of existence In the end, Samih al-Qasim's poetry remains a source of inspiration and motivation to reflect on the duality between death and life, transcending the boundaries of existence and living honestly and deeply . Samih al-Qasim's poetry embodies the human soul in all its complexities and aesthetics, and invites us to reflect on the meanings of life and death in their many dimensions

Key words: The duality of death and life-contemporary Arabic poetry-Samih al-Qasim-struggle and resistance-hope and optimism-humanitarian issues and Justice

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول **ثنائية الموت والحياة في الشعر العربي المعاصر**	
تمهيد	**5**
أولا/ الموت والحياة كتجديد	**7**
ثانيا/الموت والحياة كتعبير عن الحرية	**9**
ثالثا/ الموت والحياة كألم وأمل	**12**
الفصل الثاني **جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم**	
أوّلا/تجليات الموت في شعر سميح القاسم	**19**
1- الموت القومي	**19**
2-الموت كنهاية للبراءة	**26**
3- الموت تجسيد للفقد والفراق	**32**
4- الموت الرمزي (القدس)	**37**
ثانيا / تجليات الحياة في شعر سميح القاسم	**40**
1- الحياة مقاومة وكفاح	**40**
2-الحياة في تفاصيل الطبيعة	**42**
3- الحياة ألم وأمل	**43**
4- الحياة تراث وهوية	**44**
ثالثا/جدلية الموت والحياة في شعر سميح القاسم	**47**
خاتمة	**54**

قائمة المصادر والمراجع	**57**
قائمة الملاحق	**60**
ملخص	**67**

تم بحمد الله